الأستاذ الدكتور أحمد شلبي

المناهج الدراسية

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مصر

المناهج الدراسية

هناك نشاط علمي واضح تقوم به الجامعات والهيئات الإسلامية الموجودة في مختلف الأقطار، عن طريق مؤتمرات تعقد وندوات تجمع صفوة المفكرين، ولكن الحق يقال إن نتائج هذه المؤتمرات لا تنعكس على المعاهد الاسلامية بأشعة ضوء جديدة تصلح ما هو كائن من ناحية المادة أو الطريقة التي تقدم بها هذه المادة.

ومن الواضح أن مؤتمرات علمية (طبية مثلا) تعقد وتنتهي إلى قرارات، وسرعان ما تصل هذه القرارات الى مدرجات كليات الطب وعيادات الأطباء ومصانع الأدوية، أما المؤتمرات الاسلامية فتعقد وتقدم بها بحوث ودراسات، وتناقش هذه البحوث وتطبع وتعلن قراراتها، ثم تختفي هذه القرارات في الأدراج إلى الأبد.

وبودي أن نبدأ في مؤتمرنا بالجزائر عهدا جديدا يصل بنا إلى تغيير بعض ما هو حادث في جامعتنا.

ولتحقيق هذا الهدف اخترت من محاور المؤتمر "المحور الخاص بالمناهج الدراسية.

وبكل الايجاز الذي أرجو أن يتيح الفرصة للقراءة أقول إن هناك مجالات ثلاثة أرجو أن نعيد النظر فيها وهذه المجالات هي:

أولا: علوم مهمة اختفت من المناهج الاسلامية ويجب اعادتها دون تأخير لأنها من أنفس العلوم، وهذه العلوم هي مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية.

والذي يدرس علم مقارنة الأديان على أسسه السليمة يدرك بوضوح كيف يستفيد المسلمون من هذا العلم في فهم الأديان السابقة للإسلام فهما صحيحا، وفي تقديم الإسلام للمجتمع البشري كما أمرنا الدين الإسلامي بذلك، ثم إن هذه الدراسة فيها من الطرافة والإبداع ما يجذب الطالب إلى الإسلام والإرتباط به.

ومن أجل أهمية علم مقارنة الأديان اهتم به علماؤنا الأوائل بدءا من عصر التدوين حتى القرن الخامس الهجري ومن أشهر الكتاب المسلمين في علم مقارنة الأديان النوبختي (ت202هـ) الذي كتب كتابه (الآراء والديانات) والمسعودي (ت 346هـ) وقد كتب كتابين عن (الديانات) والمسبحى (ت 420هـ) وكتب كتابه (درك البغية في الأديان والعبادات) وهو

كتاب مطول يقع في حوالي 3000 ورقة، وكثر بعد ذلك التأليف في هذه المادة، ومن أبرز الكتب التي كتبت عن الملل والنحل وأتخذت هذه التسمية عنوانا لها كتاب (الملل والنحل لأبي منصور البغدادي (ت429هـ) وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل(لابن حزم الأندلسي(ت 456هـ) وكتاب(الملل والنحل) للشهرستاني (ت549هـ) وغيرها من الكتب.

وهناك كذلك علم "الحضارة الاسلامية" ومدلول هذا التعبير غير معروف عند الكثيرين، وأغلب الناس يربطون الحضارة الإسلامية بالجهود العلمية في مجال الطب والرياضة والعمران التي نبغ فيها المسلمون الأوائل وقدموها إلى أروبا فكانت من أسس النهضة الغربية، وذلك حق لا شك فيه، ولكنه جزء ضئيل من الحضارة الإسلامية لأنه يتناسى ما قدمه الإسلام من حضارة كانت أسمى من الطب والرياضة وذلك مثل ما قدمه في مجال الأسرة والأخلاق وفي مجال السياسة والإقتصاد والتربية والعلاقات الدولية وغيرها وقد كان علم المقارنة الأديان والحضارة الإسلامية من أهم العلوم التي عني بها القرآن الكريم وأحاديث الرسول، وعندما نقول عني بها القرآن والحديث فإن هذا يعني ضرورة وضعهما في قمة المناهج اذ أن العلوم الإسلامية انبثقت عن الكتاب والسنة.

ثانيا: هناك علوم إسلامية تدرس في كل معاهد الدراسات الإسلامية والكليات الإسلامية ولكنها تحتاج الى إعادة نظر، فمثلا المذاهب الإسلامية في الفقه نعمة نغترف منها في حياتنا الحاضرة ولكنها كانت سببا في صراع نشب أحيانا بين أتباع المذاهب المختلفة، ونحتاج الى تفسير للقرآن الكريم يستبعد الإسرائيليات تماما ويتجه بالاهتمام لفهم الذكر الحكيم دون أن يرتبط بالفقه أو باللغة.

ونريد كذلك أن نعيد النظر في تقديم التاريخ الإسلامي وفي عرض قضاياه ومحاولة بعث الحياة فيه بحيث يكون مؤثرا على حياتنا الحاضرة بما نجريه من مقارنات حتى تحقق الهدف من فائدة التاريخ وينبغي لذلك استبعاد الغمزات التي كتبها أعداء الإسلام وأندست في التاريخ، وأن نسير في دراسة التاريخ الإسلامي حتى العهد الحاضر، وأن يشمل في هذه الدراسة كل البلاد الإسلامية عربية وغير عربية، وأن تصحح ما دخل التاريخ من زيف وعدم إنصاف وهو كثير.

ومادة اللغة العربية تحتاج الى إعادة نظر، فالذي يدرس الآن باسم اللغة العربية هو

قواعد اللغة أو قل شواذ القواعد وليس اللغة نفسها، فالطالب يتخرج من الجامعات المتخصصة دون أن يقرأ أمهات الكتب العربية ودون أن يكتب عدة بحوث ودون أن يتعلم الإلقاء أو الأداء، وهذه هي العناصر الحقيقية لتدريس أية لغة من اللغات، ولهذا يتخرج الطالب من الجامعة وهو ضعيف في اللغة العربية.

ولو قمنا بدراسة إحصائية للساعات المخصصة للغة العربية في كلية من الكليات المتخصصة في دراستها لوجدنا أنها حوالي عشرين ساعة في الأسبوع. وهو قدر هائل يمكن أن يخرج إنسانا ممتازا في اللغة العربية حتى اذا كانت مواهبه متوسطة، ولكن الواقع أن أكثر المتخرجين في هذه الكليات ضعاف في اللغة العربية، لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم بأسلوب مقبول بالكلمة المقولة أو المكتوبة، ولا يستطيعون الالتزام بأشهر القواعد النحوية كالمبتدأ والخبر، والفاعل ونائب الفاعل، ويرجع ضعفهم في التعبير الى أنهم لم يدرسوا اللغة ذاتها، وانما أفنوا وقتهم في دراسة القواعد وبخاصة الشاذ منها، ثم انهم لم يقرأوا كتب الأدب كالأغاني والأمالي والعقد الفريد، ولم يقرأوا دواوين الشعراء ولم يتدربوا على الكتابة أو الإلقاء، فقد أصبحت اللغة قواعد لا غير، وكان عكوفهم على شواذ القواعد وعلى التفاصيل التي لا جدوى فيها من أبرز الأسباب التي حرمتهم اجادة اللازم من أبواب النحو، وجعلتهم يتعثرون أن تكلموا أو كتبوا، فهم ضحية منهاج سقيم قدم لهم النحو على أنه اللغة، وحشا أذهانهم بما لا يلزم من تفريعات القواعد، وحرمهم ما يحتاجون اليه منها.

وهذا هو الداء الذي يحتم أن نسرع فنجد له الدواء.

وقد عاش هذا الانحراف في تدريس اللغة العربية عدة قرون دون وقفة للتصحيح وقد انتقده الجاحظ في القرن الهجري الثالث، وفيما يلي كلماته:

لا تشغل قلب المتعلم بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشئ إن وصفه، وما زاد عن ذلك فهو مشغله عما هو أولى منه، كرواية الخبر الصادق، والمثل السائر، والمعنى البارع، ويعلم بعض الرياضة، ويعلم كتابة الإنشاء، بلفظ سهل وعبارة حلوة، ويحذر التكلف وبحثه – في قراءة كتب البلغاء– أن يستفيد المعاني لا الألفاظ.

وفي نقد المناهج يقول الأستاذ محمد المبارك الوزير السوري واسع الثقافة ما يلي:

"أكثر ما يقرأ في التفسير هو تفسير الجلالين والنسفي على ما فيهما من إسرائيليات، والغالب في طريق التفسير فهم الآيات مجزأة والمرور سريعا بآيات الأحكام، دون تحقيق ودون الرجوع الى مجموع الأدلة ومقارنة الآراء، ولذلك لم تنتج هذه الطريقة التعمق في فهم مقاصد القرآن وكلياته الكبرى.

"وفي الفقه اتجهت الدراسة اتجاها مذهبيا، ولا يدرس الطالب الا مذهبه، ولا يطلع على المذاهب الأخرى وبهذا غلبت العصبية المذهبية.

"وفي أصول الفقه لم تتجه الدراسة لمعرفة طريق استنباط الأحكام ومناقشة الأدلة وفقا لمناهج الأصول، وإنما جمدت الدراسة في قوالب وأشكال تدرس وتحفظ...

"وفي اللغة العربية انصبت العناية على مواد النحو والصرف والبلاغة وأصبحت مواد اللغة والأدب وشعره ونثره قليلة الحظ، ويدرس النحو وتكرر دراسته إلى حد الإسراف.

"واتجهت البلاغة الى كتب تغلب عليها الصبغة الفلسفية وإلى التعقيد في الأسلوب مع بعد عن الذوق الأدبي، وعلى هذا لا يوجد أي أثر للبلاغة في تحسين أسلوب من يقرأونها، ولا في تكوين ملكة أدبية لديهم، أما كتب اللغة والأدب كالأمالي والكامل والعقد الفريد والأغاني فقل بل ندر من يقرؤها".

وفي هذا المجال يقدم الأستاذ الحبيب الجماني نقدا عن الحياة العلمية في: معاهد العلم في المغرب، ولكنه في الحق نقد يتصل بكل معاهد العلم الاسلامية استمع اليه يقول:

"توقفت الحركة العلمية بالمغرب أيام الوطاسيين توقفا ما تقريبا... ثم بدأت تنشط في عهد السعديين، ولكنها لم تعدم العوائق التي عاقتها عن استئناف السير إلى الأمام اذ أصبحت العلوم في حالة من الإبهام والجمود باعثة على النفرة، فقد انتشرت الشروح المملة لمسائل الفقه، كما انتشر أيضا علم الكلام وفن القراءات، وطفى التصوف الكاذب.

"وأما علوم اللغة فقد انتشرت أيضا لا سيما النحو والبلاغة، ولكن انتشار هذين العلمين كان عقيما، فالنحو اعتمد على المنظومات، والبلاغة اتجهت إلى الألفاظ والقواعد والزخرفة الثقيلة، مما كان سببا في بروز التكلف الفاضح والذوق البليد.

"هذا وهناك علوم تسربت الى المناهج الإسلامية وهي قليلة الجدوى وينبغي أن نأخذ

منها ما نحتاجه وندع ما بها من تعقيدات وذلك كالفلسفة التي تقول أدق المصادر إنها لا تقبل مسلمات مهما كان مصدرها ولا تجعل الإيمان سندا.

(دائرة المعارف الإسلامية في مادة الفلسفة)

ويقول عنها المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر وهو في الأصل أستاذ فلسفة: هذه الفلسفات انتقلت الينا مشوبة بأشياء تتناقض مع الأديان كلها أحيانا أو مع العقيدة الإسلامية أحيانا أخرى، كالوثنيات التي كانت شائعة في الفكر الإغريقي حينذاك، وفي تصورهم للألوهية، فهذه تناقضت مع العقائد الإسلامية، ولهذا رفض المسلمون كل ما يأتي من جهة أرسطوا حتى المنطق كمقدمة ومنهج، ويضيف قوله:

- الفلسفة الإسلامية ليست الا فلسفة يونانية بلسان عربي، وقد زينت بأفكار أخلاقية ودينية أملتها ديانة الإسلام، ولكن هذه الإضفات لا تشكل جوهرا ولا أساسا في هذه الفلسفة:

وقالوا عن المنطق: من تمنطق فقد تزندق.

ومن أجل اضطراب المناهج الإسلامية لم تعد المعاهد والكليات الإسلامية قادرة على تربية روح الإسلام في المدارس وعجزت معاهد العلم عن حسن التوجيه، وضعف المتخرج من معاهد العلم الإسلامية عن تقديم الإسلام لغير المسلم أو حتى مواجهة المسلم الذي جذبته أضواء الغرب، وحدث حقد وكراهية بين أتباع المذاهب الفقهية المختلفة، وربما وصل ذلك إلى الايذاء كما يذكرنا ياقوت في معجم البلدان.

دعوة الإصلاح:

نريد بعض المتخصصين في كل المواد الإسلامية أن يجلسوا معا ويستعرضوا ما هو كائن وبعين نافذة وبصيرة قوية يضعون الأساس للاصلاح، وأن يعمم هذا الأساس على معاهد العلم والكليات الإسلامية.

وبهذا تؤتى المؤتمرات أكلها ونجني ثمارها.